

## ملاحح التحليل اللغوي للقراءات القرآنية واتجاهاته

### عند القدامى والمحدثين

الأستاذ: عبد الرحمن معاشي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

#### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، ومن سار على دربه إلى يوم الدين

وبعد:

فتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن منهجية التحليل والتعليل اللغوي ومداهما عند القدامى والتي كانت تعرف بعلم التوجيه أو الاحتجاج للقراءات القرآنية، والتي أسهمت بشكل كبير - ولا زالت - في تلمس الأوجه اللغوية المختلفة في القراءات المتغايرة؛ مما يثري الجانب الفقهي والبلاغي والإعجازي للقرآن الكريم، ولأن هذا الأخير نزل بلغة العرب، واللغة في تقدير العلماء ظاهرة شديدة التعقيد، فلا مناص إذن من ضرورة تعاضد الجهود والمناهج في تحليلها؛ الأمر الذي حدا بهذه الدراسة لعدم الانكفاء على هذا الماضي - رغم تميزه وتفوقه - إنما سعت كذلك لربط الماضي بالحاضر وإمطة بعض اللثام عن جهود المحدثين في ميدان الدراسات اللغوية والإفادة منها في تحليل وتعليل القراءات القرآنية؛ ذلك أن تظافر فروع اللغة ومستوياتها "تاريخاً وأصواتاً واشتقاقاً ومعجماً وتركيباً ودلالة" من شأنه أن يثري المعنى القرآني ويكشف عن ظواهر أخرى في الخطاب الإلهي، ويكمل النقص أيضاً في التوجيه أو الاحتجاج الذي كان القدامى يعتمدون إليه ويكتفون به.

ووفقاً لما سبق حاولت أن أجمع شتات هذا الموضوع؛ وذلك في مبحثين:

**المبحث الأول:** توجيه القراءات القرآنية عند القدامى واتجاهاته

**المبحث الثاني:** التحليل اللغوي عند المحدثين مناهجه واتجاهاته

### المبحث الأول: توجيه القراءات القرآنية عند القدامى واتجاهاته

#### المطلب الأول: علم توجيه القراءات -نشأته ومفهومه

#### الفرع الأول: نشأة هذا العلم

ظهرت بذور هذا الفن على شكل ملاحظات أولية تروى عن بعض الصحابة والتابعين والقراء<sup>1</sup>، مفرقة لا تستوعب قراءة بعينها ولا عدداً من القراءات، وإنما ترد عند الحاجة، ويدعو إليها اختيارهم وجهاً قرائياً على آخر، وكانت تعتمد في الغالب على حمل لفظ القراءة على نظيره من القرآن الكريم، ثم أخذت تتجه مع ذلك إلى شيء من التعليل والتفسير.

من ذلك ما يروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (ت68هـ) أنه كان يقرأ (ننشرها) بالراء المهملة وضم النون من قول الله تعالى ﴿...﴾ [البقرة: 259] ويحتج لقراءته بقوله الله تعالى: ﴿...﴾ [عبس: 22] وكأنه يذهب بذلك إلى أن معناها نُحْيِيهَا<sup>2</sup>. وهما: (ننشرها وننشرها) قراءتان متواترتان.

وورد عن ابن عباس أيضاً أنه فسّر قوله تعالى: ﴿...﴾ [يوسف: 110]؛ أي أن الرسل ظنت أنهم قد كذبوا فيما وعدوا، وكانوا بشراً فضعفوا ويئسوا وظنوا أنهم قد أحلفوا كما قال تعالى: ﴿...﴾ [البقرة: 214]؛ فإذا كان ذلك جاء نصر الله للرسول<sup>3</sup>.

ونقل عن عائشة رضي الله عنها أنها ردّت هذا التفسير.

<sup>1</sup> ينظر في تفصيل ذلك شيء، عبد الفتاح إسماعيل، أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير العربية، وآثاره في القراءات والنحو، جدة، دار المطبوعات الحديثة، ط3، 1989م، ص153 وما بعدها.

<sup>2</sup> معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: محمد علي النجار وزميله، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1983م، ج1، ص173.

<sup>3</sup> ينظر: فتح القدير بين الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سيّد بن إبراهيم بن صادق، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1413هـ-1993م، ج3، ص85، 87.

قال ابن أبي مليكة: وأخبرني عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت: ما وعد الله رسوله من شيء إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت، ولكنه لم يزل البلاء بالرسول حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم، وكانت تقرؤها: (وظنوا أنهم قد كذبوا) مثقلة للتكذيب<sup>1</sup>.

وهما (التخفيف والتشديد) قراءتان متواتران.

وفي كتب اللغة والأصول وعلوم القرآن والتفسير ومعاني القرآن جملة وافرة من توجيه القراءات والاحتجاج لها، يتبَّع بها اللغويون إلى الاستشهاد على بعض قواعدهم، أو إلى ترجيح وجه لغوي على آخر، ويعتضد بها الفقهاء في استنباط الأحكام، ويستعين بها المفسرون على بيان المعاني التي تتضمنها الآي.

ومن أوائل من تتبعوا القراءات القرآنية توجيهاً وبياناً الإمام ابن جرير الطبري (ت310هـ)، وذلك من خلال تفسيره "جامع البيان" حيث اعتنى رحمه الله بذكره وجوه القراءات المختلفة، وبيان حجة كل منها من حيث اللغة والاستشهاد لها بما يحضره من شواهد الشعر والنثر، ولكنه في أثناء ذلك فتح باب الاعتراض والرد لبعض وجوه القراءات الصحيحة، كما أنه كان يوجه القراءتين الصحيحتين ويختار إحداها على الأخرى

"وبعد الطبري يأتي ابن مجاهد (ت324هـ) فيختار سبع قراءات لسبعة من مشاهير قراء الأمصار، ويضمها كتابه (السبعة في القراءات)، ويذكر أن له كتاباً آخر في الشواذ من القراء<sup>2</sup>، وأياً ما كان موقف العلماء من تسبيعه السبعة<sup>3</sup>، فقد فتحت مكانة الرجل العلمية الباب لدراسات مستقلة في توجيه القراءات والاحتجاج لها، تمحورت حول ما في كتابيه من مرويات، فكانت الحجة لابن خالويه (ت370هـ) والحجة للفارسي (ت377هـ) والمحتسب لابن جنى (392هـ) والكشف لمكي بن أبي طالب (ت437هـ) وغيرها، مما عرَّج بالفن من مرحلة الملاحظات الأولية أو المتفرقة إلى مرحلة الاستقلال والنضج؛ فاتضحت بذلك معالمه وترسخت أصوله<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، كتاب التفسير سورة البقرة باب: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم، حديث رقم (4252)، صحيح البخاري، البخاري محمد بن إسماعيل، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير-اليمامة، بيروت، ط3: 1407هـ-1987م، ج4، ص1644.

<sup>2</sup> ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنى، تحقيق: علي النجدي وزملائه، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1415هـ-1994م، ج1، ص35.

<sup>3</sup> ينظر: أبو بكر بن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية، شلي، عبد الفتاح، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، العدد الخامس، 1401هـ، ص66 وما بعدها.

<sup>4</sup> التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، ص24.

ولا يزال الباحثون إلى يومنا هذا يتناولون موضوع توجيه القراءات بالدراسة والبحث.  
الفرع الثاني: تعريف علم توجيه القراءات

أولاً: التوجيه والاحتجاج في اللغة

### 1- التوجيه:

قال ابن منظور: "ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به"<sup>1</sup>.  
وجاء في مختار الصحاح: "وشيء مُوجَّه: إذا جُعِل على جهة واحدة لا تختلف"<sup>2</sup>.  
قال الفيومي: "والوجه ما يتوجه إليه الإنسان من عمل وغيره... ولهذا القول وجه أي مأخذ وجهة أخذ  
منها"<sup>3</sup>.

### 2- الاحتجاج:

قال ابن منظور: "جمع الحجة حجج وحجاج... وحجه يحجه حجا غلبة على حجته، واحتج بالشيء  
اتخذ حجة. والحجة الدليل والبرهان، يقال: حاججته فأنا محاج وحجيج. وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي  
يكون به الظفر عند الخصومة"<sup>4</sup>.  
من هذه التعاريف وغيرها يتضح معنى التوجيه والاحتجاج في اللغة، وهو الكشف عن مأخذ الشيء وبيان  
جهته، وذلك للوصول إلى المعنى المقصود من ورائه.

### ثانياً: علم التوجيه في الاصطلاح

يُعرّف علم توجيه القراءات في الاصطلاح:

بأنه "ذلك العلم الذي يُقصد منه توجيه وجوه وعلل القراءات والإيضاح عنها والانتصار لها"<sup>5</sup>.  
والاحتجاج لقراءة يراد به بيان صحتها من جهة العربية، لا بيان صحتها من جهة السند والرواية.

<sup>1</sup> لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1: د.ت، مادة (وجه)، 13/ 556.

<sup>2</sup> مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي المعروف بالجوهرى، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط2: 1415هـ - 1995م، 1/ 296.

<sup>3</sup> المصباح المنير، أحمد بن محمد بن عليّ المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، د.ط.ت، مادة (وجه).

<sup>4</sup> لسان العرب مادة (حجج)، 2/ 226.

<sup>5</sup> شرح الهداية، المهدي، أحمد بن عمار، أبو العباس، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، سنة: 1416هـ/1995م، 18/1.

والاحتجاج للقراءة (توجيهها) يكون بالقرآن، كأن تَرَدَّ القراءة المحتجُّ بها في موضع آخر منه، أو يرد فيه ما يوافقها في الإعراب مثلاً، ويكون بالأحاديث والأخبار التي يستأنس بها في معنى القراءة، كما يكون باللجوء إلى القواعد العربية، والمعاني اللغوية، وغير ذلك<sup>1</sup>.

### ثالثاً: أسماء علم التوجيه

جاء في البرهان وفي الإتيان عدة أسماء لعلم توجيه القراءات، منها:  
علم الاحتجاج - علل القراءات - معاني القراءات - إعراب القراءات - وجوه القراءات...  
إلى غير ذلك من الاصطلاحات<sup>2</sup>.

### الفرع الثالث: المرتبة العلمية لعلم التوجيه

#### أولاً: اهتمام العلماء بتوجيه القراءات

لا شك أن توجيه القراءات له أهمية كبيرة تجعل المشتغل بكتاب الله وعلومه لا يستغني عنه. قال ابن الجزري في معرض كلامه عما يلزم المقرئ أن يتخلَّق به: "... ويعلم من الأصول قدر ما يدفع به شبهة من يطعن في بعض القراءات، وأن يخصَّ جانباً من النحو والصرف، بحيث أنه يوجه ما يقع له من القراءات، وهذان من أهم ما يحتاج إليه.

#### وما أحسن قول الإمام أبي الحسن الحصري:

لقد يدَّعي علم القراءات معشراً وباعُهم في النَّحو أقصُر عن فتر<sup>3</sup>.

وتظهر أهمية هذا العلم وفائدته من خلال الموضوع الذي يتناوله، وهو بيان وجوه القراءات وعللها. وقد وصف الإمام الزركشي (ت 794هـ) هذا العلم وتابعه الإمام السيوطي (911هـ) في ذلك بقوله: "وهو فنٌ جليل، وبه تُعرف جلاله الألفاظ وجزالتها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> كتاب الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي، سيدي عبد القادر الطفيل، منشورات كلية الدعوة، ط1، د.ت، ص172، نقلاً عن: منهج الإمام ابن عطية الأندلسي في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره، فيصل بن جميل بن حسن غزاوي، إشراف: د. محمد ولد سيدي ولد حبيب، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة: 1422هـ، 88/1.

<sup>2</sup> شرح الهداية: 21/1.

<sup>3</sup> منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير، عُني به: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر العاصمة، ط1: 1424هـ - 2003م، ص50-51.

<sup>4</sup> البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1391هـ، 339/1. الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة، بيروت، د.ط، 1951م، 109/1.

كما أن علم التوجيه يعتبر أداة مهمة، وعدة أساسية للمفسر والمتصدّر للإقراء، فالمفسّر يحتاج إليه في استنباط الأحكام، وترجيح بعض الوجوه على بعض وغير ذلك<sup>1</sup>، والقارئ يحتاج إليه لمعرفة وجوه الوقف والابتداء الجائزة منها والممتنعة وغير ذلك<sup>2</sup>.

كما أن هذا العلم حافل بألوان متعددة من الدراسات القرآنية واللغوية من نحو وصرف ووجوه الإعراب، وتفسير بعض غريب القرآن، وآراء كثير من أئمة النحو واللغة في كثير من القضايا والمسائل<sup>3</sup>. ومن فوائده كذلك ارتقاؤه لأن يكون دليلاً أو مرجحاً<sup>4</sup>.

لذا كلّه فقد عُني العلماء من أواخر القرن الثاني الهجري بالاحتجاج للقراءات وبيان وجوهها والدفاع عنها والردّ على من طعن فيها.

### ثانياً: مراحل تطوّر علم التوجيه<sup>5</sup>:

وإذا تتبعنا مراحل تطور الاحتجاج للقراءات فيمكن أن نجد ما على النحو الآتي:

**الخطوة الأولى:** الاحتجاجات الفردية لبعض القراءات، كما روي عن ابن عباس أنه قرأ (ننشرها) من قوله تعالى: [وانظر إلى العظام كيف ننشزها] [البقرة: 259].

واحتجّ بقوله تعالى: [ثم إذا شاء أنشره] [عبس: 22] وقال: إنشارها: إحيائها.

ويدخل في هذا احتجاج سيبويه لبعض ما أورده في (الكتاب) من قراءات.

### الخطوة الثانية: نسبة القراءة وإسنادها:

ويمكن أن تمثل لهذه الخطوة بعمل هارون بن موسى الأعور (ت قبل 200هـ)، الذي قال عنه أبو حاتم السجستاني أنه أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألفها وتتبع الشاذ منها فبحث عن إسناده<sup>6</sup>، ويدخل في هذا ما قام به يعقوب الحضرمي (ت 205هـ)، من تصنيف كتابه (الجامع)، جمع فيه عامة اختلاف وجوه القرآن، ونسب كل حرف إلى كل من قرأ به، وكان أعلم أهل زمانه بالاختلاف في القرآن وتعليقه ومذاهب النحو<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> الإتيان في علوم القرآن، 1/226-227

<sup>2</sup> منجد المقرئين، ص18.

<sup>3</sup> شرح الهداية، 1/162.

<sup>4</sup> البرهان في علوم القرآن: 1/339.

<sup>5</sup> أفدتها من: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بازمول، دار الهجرة، الرياض، ط1: 1417هـ-1996م، ص297-307.

<sup>6</sup> غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري أبو الخير، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط3: 1402هـ-1982م،

348/2.

<sup>7</sup> المصدر نفسه: 2/388.

ثالثاً: أهم مصنفات علم التوجيه

إن أهم كتب الاحتجاج في القراءات المتواترة والشاذة، في القديم والحديث، ما يأتي:

1- المصنفات في توجيه القراءات المتواترة:

أ- "كتاب احتجاج القراء في القراءة" ل محمد بن السري، المعروف بابن السراج النحوي المصري (ت 316هـ).

ب- "إعراب القراءات السبع وعللها" لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370هـ)، مطبوع في مجلدين، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة.

ج- "الحجة في علل القراءات السبع" لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت 377هـ)، اختصره الإمام مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ) في "منتخب الحجة"، وهو -الحجة- مطبوع في ستة مجلدات، تحقيق: بدر الدين قهوجي و بشير حويجاتي، طبع دار المأمون للتراث.

د- "الكامل في علل القراءات" لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت 381هـ)<sup>1</sup>.

هـ- "حجة القراءات" لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت 403هـ)، مطبوع في مجلد، تحقيق: سعيد الأفغاني، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت.

و- "كتاب معاني القراءات" لأبي العباس أحمد بن قاسم اللخمي (ت 410هـ)<sup>2</sup>.

ز- "الكشف عن وجوه القراءات وعللها" للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، وهو شرح لكتاب "التبصرة في القراءات السبع"، وهو -الكشف- مطبوع في مجلدين، تحقيق: محي الدين رمضان، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت.

ي- "شرح الهداية" لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي (ت 440هـ)، مطبوع في مجلدين، تحقيق: د. حازم سعيد حيدر، طبع دار الرشد، الرياض.

ومن الكتب الحديثة:

أ- "المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة" ل محمد سالم محيسن.

ب- "المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طسبة النشر" ل محمد سالم محيسن.

ج- "طلائع البشر في توجيه القراءات العشر" ل محمد صادق قمحاوي.

<sup>1</sup> ذكره محقق شرح الهداية في مقدمة تحقيقه، 31/1.

<sup>2</sup> ذكره ابن الجزري في غاية النهاية: 97/1.

د- "قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر" لقاسم الدجوي و محمد قمحاوي.

2- المصنفات في توجيه القراءات الشواذ:

أ- "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرآن والإيضاح عنها" لأبي الفتح عثمان بن جني (ت

392هـ)، مطبوع في مجلدين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

ب- "المنتخب من كتاب المحتسب" لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616هـ).

ومن الكتب الحديثة:

"القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب" للشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (ت 1403هـ)،

مطبوع مع كتاب (البدور الزاهرة في قراءات العشر المتواترة).

إلى آخر ما ألف في هذا العلم كثير<sup>1</sup>.

المطلب الثاني: اتجاهات في توجيه القراءات القرآنية المتغيرة ومستوياتها

الفرع الأول: ملاح تغير القراءات ومستوياتها في أنساق التعبير القرآني

تناقش أغلب كتب التوجيه الاحتجاج وجوه التغير في القراءات القرآنية لوجود اختلافات في التركيب، من

أمثلة ذلك:

1- اختلاف الأسماء بالإنفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، كما في قوله تعالى: **چ** **ط** **ظ**

ة ه ه ح التوبة: ١٠٣، فقد قرئ (صلواتك) بالجمع و (صلاتك) بالإنفراد<sup>2</sup>.

2- الاختلاف في وجوه الإعراب، نحو قوله تعالى: **چ** **ي** **پ** **ب** **چ** البقرة: 214. قرأ نافع

برفع اللام من (يقول)، ونصبها الباقون<sup>3</sup>. ووجه من رفع على اعتبار أنه ليس بمستقبل فلم ينصب بعد حتى، ووجه

من نصب على اعتبار (أن) المضمرة بعد (حتى) على معنى الغاية؛ أي إلى أن يقول، فالفعل مستقبل تأويلا.

<sup>1</sup> أنظر: مزيدا من كتب هذا العلم: شرح الهداية، 27/1 وما بعدها.

<sup>2</sup> قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالإنفراد -على التوحيد وفتح التاء- وقرأها الباقون على الجمع، وكسر التاء. انظر: جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو سعيد بن عثمان الداني، تحقيق: عبد الرحمن الطرهبوني و يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، د.ط.ت، ج2، ص289. ووجه من قرأ (إن صلواتك) بجذف الألف؛ فعلى التوحيد ونصب التاء، والمراد به الجنس. وقرأ الباقون بالجمع. انظر: إتحاف فضلاء البشر، ص244، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م، 1/ 505.

<sup>3</sup> التذكرة في القراءات الثماني، أبو الحسن طاهر بن غلبون، ت: عبد الفتاح بحيرى إبراهيم، ط2، 1411هـ- 1991م، 2/ 232.





يقدر على ذلك، ولا بالتعليم والعلاج، لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا، كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>.

ولعل المتأمل أيضا في علة التيسير هذه يجدها معزوة في مجال التحليل اللغوي ومرتبطة في كثير من الأحيان بمستوى واحد من مستويات الأداء اللغوي، وهو تغاير الأداء الصوتي في بعض عادات النطق تبعا لاختلاف اللهجات؛ فهو يدخل في دائرة ما يسمى عند أهل الأداء بالأصول كالإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل ونحوها مما لا يغير الكلمة عن رسمها ومعناها. يقول الألوسي: "لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد؛ لعدم علمهم بالكتابة والضبط، وإتقان الحفظ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ، وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون"<sup>2</sup>.

ولا يخفى ما لهذا التغاير من دور في إثراء بلاغة القرآن فضلا عن إيقاع اللفظ وتلوين المعاني في نفس المتلقي.

وإذا كانت القراءات القرآنية ترتد اختلافاتها في معظمها إلى المستوى الصوتي لاختلاف اللهجات، فإن ثمة وجوها أخرى لا يمكن عزو تغاير القراءات إليها؛ وذلك كاختلاف الكلمات القرآنية من حيث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، وبعض وجوه الإعراب وغيرها مما يتصل بما يعرف في علم القراءات بفرش الحروف التي تعنى بتغيير اللفظ والتركيب عن صفته ورسمه أحيانا مما يؤثر حتما في الدلالة ويثري الوجوه والنكت البلاغية المترتبة عليها.

وقد عني اللغويون والقراء القدامى بهذا الفن الجليل من التحليل اللغوي - أعني التوجيه أو الاحتجاج على حد تعبير القدامى - وأضحت تلك التغيرات الأدائية والتركيبية والصرفية مجالا خصبا من مجالات البحث في توجيه القراءات وهدفا من أهدافه.

علما بأن أغلب المصنفات في هذا العلم تدندن حول هذه المستويات التوجيهية للكلمة القرآنية "مستوى الأصوات، النحو، الصرف، البلاغة" تكتفي بها لا تتجاوزها إلى غيرها، في حين نهضت اللغوية الحديثة نهضة عظيمة في الغرب، فتناولت كل فروع الدراسة المتصلة باللغة، تاريخا وأصواتا واشتقاقا ومعجما وتركيبا ودلالة. وكان أهم ما وسم هذه الدراسات أنها جمعت كل هذه الفروع تحت عنوان واحد، هو (علم اللغة) إلى جانب عدة فروع لم تتصل بها محاولات العلماء والباحثين في القديم، ومن بينها ذلك الفرع الذي لم يكن تطور العلوم الانسانية قد

<sup>1</sup> ابن الجزري، النشر، 1/ 22.

<sup>2</sup> روح المعاني، الألوسي، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1983م، 132/25.

مهد لنشأته بعد، وهو "علم الاشتقاق التاريخي" L'Etymologie وغيره. وهذا ما سأعمل على توضيحه لاحقاً.

### الفرع الثاني: اتجاهات في توجيه القراءات القرآنية

ترتد الأبعاد التوجيهية للقراءات القرآنية إلى أربعة اتجاهات، كما يأتي:

أولاً: الاتجاه اللغوي: ويأتي هذا الاتجاه بناء على مسلكهم في توضيح أركان قبول القراءة القرآنية؛ أهمها موافقة اللغة العربية ولو بوجه، لا بوصفه مناط قوة لها فحسب<sup>1</sup>، بل لأنه صار عندهم مجالاً خصباً للتعليل والتحليل الذي يتضمن في الغالب تلمس الوجوه اللغوية التي تجري عليها، ويشمل هذا الاتجاه كل وجه من وجوه النحو أو الصرف والاشتقاق أو الأصوات وطرق الأداء أو الدلالة وسياق اللفظ، واستعان الموجهون في تحليل ذلك كله بنظائره القرآنية، وبما عن لهم من لهجات العرب، وشعرها ونثرها، كما توسلوا إلى توضيح معنى القراءة ودلالاتها بفنون أخرى، كعلم أسباب النزول والمناسبات، ومعرفة التفسير والغريب وغيرها.

ويعد هذا الاتجاه عمدة هذا الفن من التحليل والاحتجاج ومعتمده، وإن بقية الاتجاهات هي في الحقيقة عالة على الاتجاه اللغوي وثمره له.

ثانياً: الاتجاه الفقهي: لا يخفى أيضاً أثر اختلاف القراءات في اختلاف الأحكام الفقهية، وهذا الاتجاه يستثمر هذا التعدد والتلون في استنباط الأحكام الشرعية المختلفة من تلك القراءات -الأدلة- وإجراء القواعد الأصولية على تلك الأحكام.

ثالثاً: الاتجاه المذهبي: وهو الذي يجعل من بعض القراءات السائدة عنده وليجة للانتصار لعقائده ومذاهبه.

رابعاً: الاتجاه البلاغي: ويهتم بالوقوف على الجوانب البلاغية التي أفرزتها القراءات المتغايرة؛ والتي تضفي على القرآن الكريم جمالاً وثناءً وإعجازاً.

<sup>1</sup> الأصول دراسة إيبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1982م، ص98.

## المبحث الثاني: التحليل اللغوي عند المحدثين مناهجه واتجاهاته

### المطلب الأول: مفهوم التحليل اللغوي عند المحدثين

#### الفرع الأول: نشأته

يختلف علم اللغة بالمفهوم الحديث تماما عما انتهى إلينا من تصور السلف لمضمونه، وقد أثرى ثراء كبيرا من حيث المناهج، بفضل المجتهدين من باحثي الغرب وعلمائه، سواء في النظرية أو في التطبيق والتجربة. وساعد على نجاح تطبيقاته أنها تدرس لغات حية، يستطيع الدارس أن يجد من بين المتكلمين بها مساعدا، يقدم له ما يحتاج من نماذج وعينات لمواصلة بحثه، ثم يتجه الباحث من هذه النقطة المعلومة إلى مواصلة البحث في المجهول اللغوي، يتخيل الظواهر وتطورها، واللغات وتاريخها، مستخدما في بحثه كل ما أسفرت عنه محاولات العلوم الإنسانية؛ كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الإنسان، من كشف يضيف إلى فكر الإنسان وثقافته شيئا جديدا عن ماضيه<sup>1</sup>.

وبهذا المنهج أمكن العلماء الأوربيين أن يكتبوا تاريخ لغاتهم، وأن يضعوا لها المعاجم التاريخية التي تحدد أصولها، وتطوراتها، سواء من حيث الأصوات، أو الاشتقاق، أو الدلالة، أو غيرها من مستويات البحث اللغوي الحديث.

#### الفرع الثاني: تعريف التحليل اللغوي

##### أولا: التحليل

التحليل من مادة (حلل)، يقال: حل العقدَ يَحُلُّه حَلًّا؛ أي ونَقَضَهُ وفتحهُ فَاحْلُ<sup>2</sup>، وكل جامد أَدْبَتَهُ فقد حَلَّتْهُ<sup>3</sup>. فالتحليل إذن هو الفتح التقسيم والتفكيك وغيرها.

##### ثانيا: تعريف اللغة

<sup>1</sup> القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط.ت، ص 5.

<sup>2</sup> لسان العرب: 11/ 169

<sup>3</sup> جهرة اللغة، محمد بن الحسن ابن دريد، حيدر آباد، الهند، 1345هـ، 28/1.

اللغة من الأسماء الناقصة وأصلها (لغوة) على وزن (فعله) بضم الفاء وسكون العين من (لغا يلغو لغوا): تكلم، أو من (لغى يلغى) - بكسر الغين في الماضي وفتحها في المضارع-: لهج.

قال ابن جني: "أما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها (فعله) من (لغوت)؛ أي: تكلمت، وأصلها (لغوة) ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات، لقولهم: كروت بالكرة، وقلوت بالقلة، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب، وقالوا فيها، لغات ولغون، ككرات وكرون. وقيل منها: لغى يلغى: إذا هذى"<sup>1</sup>.

ويطلق كل من اللفظين (اللغو) و (اللغا) على معان أخرى لها صلة بالنطق، والأصوات<sup>2</sup>.

ومما ورد من نصوص خاصة بكلمة (اللغة) واشتقاقها نستنتج أنها تدور حول معنى (الأصوات) الانسانية وغيرها، وما يشبهها من معان مختلفة<sup>3</sup>.

وعلى هذا فإن (علم اللغة) أو (فقه اللغة) يعني فهم الأصوات مفردة ومركبة، وإدراك خصائصها.

وباعتبار إطلاق كل من المصطلحين على علم خاص يصبح مفهومه: العلم الذي يتناول مفردات اللغة وتراكيبها وما لها من خصائص<sup>4</sup>.

وبهذا عرف ابن خلدون (علم اللغة) فقال: هو بيان الموضوعات اللغوية<sup>5</sup>.

وعرفه الفارابي بقوله: علم الألفاظ الدالة عند كل أمة على قوانين تلك الألفاظ<sup>6</sup>.

ويمكن تعريف التحليل اللغوي في الاصطلاح باعتباره لفظاً مركباً، بقولنا:

<sup>1</sup> الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، دار الكتب، د.ط، 1371هـ- 1952م، 33/1 واعتبار أصل لغة: (لغوة) على (فعله) فيه جمع بين العوض والمعوض ولا يجتمعان إلا نادراً. انظر: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ومعه حاشية الشيخ محمد بن علي الصبان، علي بن محمد الأشموني، د.ط.ت، دار إحياء الكتب العربية، 340/4- 343 والكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، ت: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، د.ط، 1388هـ- 1968م، تعليق الأعلام على قول الشاعر، (هما نفثا في من فمويهما)، 83/2.

<sup>2</sup> اللسان، ابن منظور، 116/20- 119.

<sup>3</sup> اللغة العربية -خصائصها وسماتها-، عبد الغفار حامد هلال، ط الحضارة العربية، 1396هـ- 1967م، ص6.

<sup>4</sup> علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي -شبرا، ط2، 1406هـ- 1986م، ص18.

<sup>5</sup> المقدمة، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ط بولاق، 1284هـ، ط لجنة البيان العربي 1382هـ 1962م، ج4، ص1256.

<sup>6</sup> إحصاء العلوم، الفارابي، ت: الدكتور عثمان أمين، ط2، القاهرة، 1949م، ص45، 62، 63.

هو تقسيم اللغة وتفكيكها على مستويات متعددة ومختلفة، يخضع أساسا لموقف الباحث من اللغة والمنهج الذي يصطفيه لنفسه من بين مناهج التحليل<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: مناهج التحليل اللغوي عند المحدثين ومستوياته

يرى كثير من العلماء أن اللغة ظاهرة شديدة التعقيد، ويجب أن تتعاقد الجهود والمناهج في تحليلها، فافترضوا أنها تنجز إلى أجزاء أو تقسم على مستويات يتمتع كل مستوى منها بخصائص عامة يمكن عن طريقها الوقوف على أسرار مضمون هذا المستوى في الدلالة، وهم يعلمون يقينا أن اللغة كيان واحد لا يمكن الفصل بين محتوياته فجميع العناصر اللغوية تتفاعل معا، وتتآزر في تحقيق مقاصد لغوية، ولا يمكن استبعاد جانب دون جانب؛ لأن اللغة بناء شديد التماسك يشد بعضه بعضا، وتهاوي جانب منه يقوض أركانها.

ويرجع سبب اختلاف مناهج التحليل ومستويات التحليل إلى اتجاهات العلماء ورؤيتهم التحليلية للغة، فالباحث يختار المنهج الذي يراه ملائما لتحقيق أهدافه من تحليل اللغة، وتقسيم اللغة على مستويات يخضع أساسا لموقف الباحث من اللغة والمنهج الذي يصطفيه لنفسه من بين مناهج التحليل ويؤثر في ذلك أهمية مستوى من مستويات التحليل يراه الباحث يستأهل اهتمامه لما به من عناصر غنية بالبحث<sup>2</sup>.

وقد اشتهر من بين هذه المناهج التحليلية التقسيم الذي وضعه "ماريو باي" لمستويات التحليل اللغوي؛ فقد رأى أن دراسة اللغة على ما جرى عليه العرف سواء كان المنهج وصفيا أو تاريخيا، تندرج في أربعة مستويات - وإن كانت الحدود بينها غير واضحة تماما على نحو دقيق- وهذه المستويات تشكل بناء اللغة العام، وهي<sup>3</sup>:

1- مستوى الأصوات Phonology: ويدرس هذا المستوى أصوات اللغة من ناحية طبيعتها الصوتية مادة خاما تدخل في تشكيلة أبنية لفظية، ويدرس وظيفة بعض الأصوات في الأبنية والتراكيب -والأخير مهم في الدلالة- ويدخل هذا تحت ما يعرف بعلم وظائف الأصوات؛ وهو دراسة وظيفة الصوت اللغوي في الكلام عن طريق زيادة في الكلمة مثل العناصر الصرفية، ومن ناحية تقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية، وصفات

<sup>1</sup> التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة -دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية- محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 1426هـ- 2005م، ص12-15.

<sup>2</sup> المرجع السابق.

<sup>3</sup> أسس علم اللغة، ماريو باي، عالم الكتب، 1419هـ- 1998م، ص43.

كل مقطع أو عن طريق زيادة في الكلمة مثل العناصر الصرفية، ومن ناحية تقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية، وصفات كل مقطع أو عن طريق أدائه صوتياً، وما ينتج عن ذلك من نبر وتنغيم ووقفات وطبقة الصوت، وكل العناصر الصوتية التي تشارك في الدلالة وتؤثر في المتلقي.

2- مستوى الصرف Morphology : وهو المستوى الذي يدرس الصيغ اللغوية، وأثر هذه الصيغ في الدلالة، ويدرس الأثر الذي تحدثه زيادة بعض الوحدات الصرفية في أصل بنية الكلمة مثل اللواحق التصريفية inflectional endings كعلامات الجمع ("ون" أو "ين" للمذكر السالم، و "ات" للمؤنث السالم). وباء النسب في (جزائري، تونسي)، والسوابق Prefixes كحروف المضارعة وهزمة التعدية، وميم اسم المفعول في "محمود" والتغيرات الداخلية، كتضعيف وسط الكلمة للتعدية في (كسّر) وزيادة الألف للدلالة على المشاركة والمقاومة في (قاتل) وللتعدية في مثل (كأثر) وللدلالة على اسم الفاعل (في صيغة فاعل؛ مثل قائم). وهذه الإضافات والتغيرات تشارك في الدلالة، ويتأثر المعنى باختلافها ومقدار الزيادة في الكلمة.

3- مستوى النحو Syntax: ويختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية، ويبين علم النحو وظائف الكلمات في الجمل، والأثر الدلالي لاختلاف موقع الكلمة في تركيبين، وكذلك اختلاف الكلمة في تركيبين، مثل: "ضرب محمد علياً" و "ضرب علي محمدًا". ومثل: "نجح محمد" . و"رسب محمدًا"؛ فاختلاف ترتيب الكلمة واختلاف الكلمتين أثرا في دلالة الجملة، كما يقوم النحو بتعيين فاعل الجملة بوضع مفرداتها مرتبة إن التبس المعنى في مثل: "ضرب موسى عيسى"؛ إذ لا توجد قرينة معنوية أو لفظية تعين الفاعل، فاستوجب هذا وضع المفردات في ترتيبها المعهود من قواعد النحو: الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به، لئلا يلتبس المعنى<sup>1</sup>.

4- مستوى المفردات Vocabulary: ويختص بدراسة الكلمات المنفردة، ومعرفة أصولها، وتطورها التاريخي، ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها، ويدخل تحت هذا المستوى دراسة المعنى المعجمي، أو القاموسي، ويدخل فيه دراسة دلالة الكلمة وتاريخ نشأتها وتطورها والحقل اللغوي الذي تنتمي إليه، ويدرس هذا المستوى أيضا دلالة التراكيب الاصطلاحية أو القوالب اللفظية التي تؤدي دلالة خاصة<sup>2</sup>.

وقد رأى العلماء أنه لا توجد حدود فاصلة بين هذه المستويات، فلا يمكن استبعاد مستوى منها، فأصوات اللغة تتأثر بالصيغ، والصيغ هي الأخرى تتأثر بالأصوات، فالتغيرات الصرفية تقوم على عناصر صوتية، وليست الوحدات الصرفية إلا أصواتا، والصوت والصيغة كلاهما يتأثر غالبا بالمعنى، ويوجد كذلك تبادل مطرد بين الصرف والنحو، فالزيادة في بنية الفعل تحدث أثرا نحويا، وتراعي أبنية مفردات الجملة في الترتيب، والأثر الذي

<sup>1</sup> التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص14.

<sup>2</sup> الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو، د.ط، 2003م، ص8 وما بعدها.

يترتب عليه نحويا، فنوع الصيغة يحدد عملها النحوي مثل إضافة الفاعل إلى مصدره، وعمل الصفة المشبهة وغير ذلك من وجوه الإعراب التي تتأثر بنوع الصيغة، وموقعها في التركيب.

### المطلب الثالث: حدود عملية التحليل اللغوي واتجاهاته

#### الفرع الأول: حدود عملية التحليل اللغوي

إن محاولات أسلافنا القدماء في اعتنائهم بعلم التوجيه كانت من الجدية والعمق والإفادة بحيث يصعب على أي باحث في الحديث أن يتجاهلها أو يغض من شأنها، ولأن المعرفة تراكمية يأخذ الخلف من السلف ويمضي ركب البحث في محاولته لتقويم أفكار الماضين من غير المعصومين دون إلغاء أو قطيعة معرفية، أفرزت الجهود الحديثة منهجا لتحليل اللغة، واستخدمته أيضا في تحليل تراكيب القرآن الكريم وقراءاته

والتحليل اللغوي أعم من موضوع الاحتجاج؛ فهو تحليل أسلوب (Stilistische Analyse) يعد طريقة نقدية أكثر تنظيما وموضوعية من النقد الأدبي<sup>1</sup>.

فاللغة بفروعها: الأصوات، الصرف، التركيب، المعجم والدلالة، دعامة قوية يجب أن يستند إليها المحلل، وهو يشرع في عملية التحليل؛ وذلك بأن يفحص العناصر النحوية لجمل النص، ثم يفسرها بوصفها إشارات لمقاصد المؤلف فيما يكتبه.

والتحليل اللغوي يتابع التنوعات الأسلوبية عند تحليل النص ويسجلها بهدف الوقوف على مدى شيوع ظواهرها أو ندرتها؛ فالتحليل الأسلوبي يقوم على مراقبة مثل هذه الانحرافات، كتكرار صوت أو قلب نظام الكلمات، أو بناء تسلسلات متشابهة من الجمل؛ وذلك لأغراض جمالية كالتأكيد أو الوضوح أو عكس ذلك كالغموض أو الطمس المبرر جماليا للفروق<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مدخل إلى الألسنية، بول فاير وكريستيان بابلون، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992م، ص228.

<sup>2</sup> التوجيه اللغوي للقراءات السبع -دراسة تطبيقية على مستويات التحليل اللغوي، عمر خاطر عبد الغني وهدان، مكتبة الآداب -القاهرة، ط14، 1430هـ -2009م، ص20.



وينبغي ألا يكون هناك في عملية التحليل فصل بين الشكل والموضوع، فهما عنصرا أي عمل أدبي، حتى يصل المحلل إلى المقاصد الحقيقية للنص -وهي مضمون عمله- التي صاغها في شكل أدبي معين. أما إذا قام البحث الأسلوبي على الفصل بين هذين العنصرين فهذا من شأنه أن يؤدي إلى الوصول إلى أحكام مشوهة ونتائج تعسفية<sup>1</sup>.

والأسلوبية الوظيفية Funktional Stilistik في التحليل اللغوي ترى أن أي عمل فني لا ينبغي أن يحلل على مستويات جزئية وإنما على أساس السياق<sup>2</sup> context والتحليل اللغوي للأسلوب هنا يقرر أن كل كلمة إنما هي جزء من جملة، وأن كل جملة جزء من فقرة، وأن كل فقرة جزء في موضوع، وعلى المحلل أن يدرس وظيفة كل هذه الأجزاء في أي سياق فني<sup>3</sup>؛ حتى يستطيع التحليل اللغوي تقديم صور متعددة لتماسك النص سواء أكان هذا التماسك تماسكا شكليا cohesion أو تماسكا دلاليا يتصل بالمضمون coherans.

والتحليل اللغوي لتراكيب القرآن الكريم بقراءاته -محل التحليل والتوصيف- يتفق مع ما يهدف إليه البحث الأسلوبي، وهو الكشف عن صور التحول في التركيب أو ما يسمى بالانحراف، والتجاوز في النص، على أن هذا الكشف لا ينفك عن النظر إلى السياق؛ لأنه أهم أدوات التحليل اللغوي.

وينقسم السياق إلى قسمين:

سياق موقف Situation

سياق لغوي Language

فلا بد للمحلل الاعتماد على البيئة اللغوية المصاحبة للبؤرة النصية؛ لذا يقول أولمان: "... فمن الملاحظ أن وقوع الكلمات في نماذج معينة من السياقات يكسبها جوا خاصا، ويحيطها بملاسات تعين في الحال على استحضار البيئة التي تنتمي إليها هذه الكلمات"<sup>4</sup>.

التحليل اللغوي ينظر إلى أي نص على أنه مسلك أسلوبي له سياق لغوي يتألف من خلفية مُحسنة ومستمرة، وافترض أن السياق يقوم بدور المعيار وأن الأسلوب يتحقق بانحراف عن هذا السياق هو افتراض

<sup>1</sup> الأسلوبية -مدخل نظري ودراسة تطبيقية-، فتح الله سليمان، مكتبة الآداب، ط1، 1990م، ص27.

<sup>2</sup> الأسلوبية الحديثة، محمد عباد، مجلة فصول، ع2، 1984م، عدد (مناهج النقد الأدبي المعاصر)، ص127.

<sup>3</sup> علم اللغة والنقد الأدبي (علم الأسلوب)، عبده الراجحي، مجلة فصول، ع2، 1981م، عدد (مناهج النقد الأدبي المعاصر)، ص118.

<sup>4</sup> التوجيه اللغوي للقراءات السبع، ص21.

مثمر<sup>1</sup>. ويسمى هذا الأسلوب أسلوبية الانحراف *Deviationliche Stilistik* أي: ينظر إلى الأسلوب باعتباره خرقاً للأسلوب المعياري، أو انحرافاً عنه، حيث وجد رؤية للأسلوب ترى فيه مفارقة أو انحرافاً عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري<sup>2</sup>.

ومن ثم يعرف (مايكل يفاتير) السياق الأسلوبي بأنه "نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع، والتقابل الذي ينتج عن هذا الاقتحام هو المثير الأسلوبي"<sup>3</sup>.

وبهذا المفهوم لأسلوبية الانحراف، والسياق الأسلوبي يحاول هذا البحث دراسة صور التحول في التركيب في القراءات القرآنية وتوجيهها كما هو واضح من خلال الانتقال من صيغة إلى صيغة على المستويين الصرفي والنحوي بالنظر إلى السياق اللغوي المصاحب لها، فقد نجد مسلكاً أسلوبياً واحداً يولد آثاراً كثيرة<sup>4</sup>.

لذا فإن (رافيل سالكي) يقول: "إن كلمات الإحالة عندما تشير إلى ما حول النص مثل الضمائر هو و هي للعاقل وغير العاقل فذلك ما يطلق عليه الإحالة النصية *Reference Text* أما عندما تشير إلى العالم الحقيقي *Real world* فهو ما يطلق عليه إحالة الموقف *Situational Reference*"<sup>5</sup>.

من هذا التحول في السياق التركيبي: وقوع المظهر موقع المضمرة، حيث يقرر اللغويون أن الاسم متى احتاج إلى تكريره في جملة واحدة فالمنتخار -تبعاً لما هو شائع في اللغة وسنن كلامها- أن يُذكر ضميرُهُ، أما إذا أعيد لفظه في جملة أخرى فذلك حسن جائز، كقوله تعالى: ﴿بِذُرِّيَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>6</sup>، غير أنهم يميزون كذلك إعادة لفظه بعينه في موضع كناية في جملة واحدة متى يتضمن نكتة بلاغية في سياقه، وإن كان بعضهم قد حمله على الضرورة<sup>6</sup>؛ لما فيه من العدول والتكرار؛ ولذا تعجب الزركشي من البيانيين؛ لأنهم لم يسلكوه في سلك الإطناب<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه.

<sup>2</sup> الأسلوبية -مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص34.

<sup>3</sup> معايير لتحليل الأسلوب، ص148.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص149.

<sup>5</sup> التوجيه اللغوي للقراءات السبع، ص22.

<sup>6</sup> شرح السيرافي على كتاب سيبويه، السيرافي، طبع بولاق، 1316هـ، ج1، ص30، و إعراب القرآن، ج2، ص216، و الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد النجار، القاهرة، 1952م، ج3، ص53.

<sup>7</sup> العربية وعلم اللغة النبوي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، 1988م، ص103.

وعلى أية حال فإن موجهي القراءات قد فطنوا إلى تلك الأوجه البلاغية التي تستدعيها ظاهرة العدول أو التحول في التركيب إلى التعبير بالاسم المظهر في موضع إضماره المتمثلة في الإحالة المستفادة من التركيب.

### الفرع الثاني: بعض الاتجاهات الحديثة في التحليل اللغوي

ولإشارة إلى بعض الاتجاهات الحديثة التي عنيت بالتحليل اللغوي أذكر:

أولاً: البنائية ومنهج التحليل إلى المكونات المباشرة: وقد تفرعت البنائية إلى مدارس، أشهرها:

1- المدرسة الأوربية التي أرسى أصولها دي سوسير (1858-1913م): لقد اهتم في نظريته بالعلاقة اللغوية والتي منها: العلاقات الاستبدالية Substitution Relations وعلاقات السياق Situation Relations فلا غنى للحياة اللغوية عن كليهما، فالكلمات عنده تكتسب في اللغة المستعملة علاقات تعتمد على طبيعة اللغة التتابعية (The liner nature) لأن هذه الكلمات تتقيد معا كالسلسلة. ومحمل القول عنده: أن مجموعة العناصر التي تشكل اللغة وتتحكم في وظيفتها<sup>1</sup>.

هذه العلاقات قامت عليها مدرسة جنيف؛ لتتخذ من الدراسة الوصفية منهجا لها في دراسة اللغة، وتقوم هذه الدراسة على "النظر في علاقة كل عنصر من العناصر اللغوية الداخلة بغيره من العناصر الأخرى المكونة للنظام اللغوي؛ لأن أي عنصر منها لا قيمة له دون العناصر الأخرى؛ ومن ثم فإن النظام اللغوي يقوم على التشابه Identit من ناحية، والاختلاف Differt من ناحية أخرى"<sup>2</sup>.

2- مدرسة براج (1928-1930م) وهي من المدرسة البنائية، عرفت بمدرسة الفونولوجي؛ إذ انصرف جل اهتمامها إلى هذا المستوى، ومؤدى فكرها أن اللغة كل مركب إذا أردنا دراسته ينبغي أن نحلله إلى أبسط عناصر بما يكون له صلة بالتركيب والسياق. فالفونيمات هي أصغر وحدات اللغة -تحليلا- التي نستطيع

<sup>1</sup> المرجع السابق.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص100.

بطرق التبادل أن نميز كلمة من كلمة أخرى<sup>1</sup>، وهي الوحدات الصوتية التي لا يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية متتابعة من خلال اللغة التي يدرسها الباحث، ولا يمكن تعريف الفونيمات - في رأيه - إلا بالرجوع إلى وظائفها في تركيب كل لغة على حدة. ولم تخل الدراسة البنائية لدى مدرسة كوبنهاجن (أواخر الثلاثينيات) من اهتمام بالعلاقة التركيبية وما لها من علاقة بالسياق والاستبدال.

3- البنائية الإنجليزية بزعامه فيرث (1944م)، تولى اهتماما كبيرا بالمقام أو الملابس الخارجية عن الحدث اللغوي، التي تسهم في الدلالة على المعنى الحقيقي له، ومن هذه الملابس أو العلاقات التي فطن إليها علاقة الترتيب بين أجزاء الحدث الكلامي أو عناصره فترتب الفونيمات في الكلمة، أو المورفيمات في الجملة هو جزء من المعنى، وأي تغيير في الترتيب قد يؤدي إلى تغيير المعنى<sup>2</sup>.

ومهما يكن من اختلاف بينها فإنها سلمت جميعا بأن اللغة نظام من العلاقات ترتبط فيما بينها بعلاقات عضوية من التوافق أو الاختلاف، تبدأ من الكلام إلى الجملة إلى الكلمة، حتى تنتهي إلى السمة المميزة لأصغر وحدة صوتية في اللغة مثل الجهر أو الهمس وغيرها<sup>3</sup>، فالبنية لديهم هي "كل مكون من ظواهر متماسكة، يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكن أن يكون هو إلا بفضل علاقته بما عداه"<sup>4</sup>.

### ثانيا: منهج التحليل إلى الوحدات النحوية Tagemic Analysis

هو منهج يمثل واحدا من امتدادات مدرسة بلومفياد البنائية الأمريكية<sup>5</sup> ويعد هذا المنهج أقرب المناهج إلى النحو العربي الذي يقوم على الوظيفة التي يؤديها العنصر في التركيب اللغوي<sup>6</sup>.

فقد ربط بين خواص النحو التصنيفي Taxonomic والنحو الوظيفي Functional، كما أنه ينقل المفهومات من ميدان الفونولوجي إلى ميدان علم التركيب<sup>7</sup>.

### ثالثا: المنهج التحويلي التوليدي

<sup>1</sup> الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، حلمي خليل، الهيئة المصرية للكتاب، 1980م، ص15.

<sup>2</sup> علم الدلالة، أحمد مختار عمر، الكويت، ط1، 1982م، ص68.

<sup>3</sup> العربية وعلم اللغة البنيوي، ص7.

<sup>4</sup> مشكلة البنية، ص64.

<sup>5</sup> مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص34.

<sup>6</sup> نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص25.

<sup>7</sup> المدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص38.

له جانينان: جانب "تحويلي" بدأه هاريس 1952 Harris م، مهد به الطريق لنموذج وصفي يسمى التحليل التحويلي Transformational analysis وجانب توليدي بناء بدأه تشومسكي 1957<sup>1</sup>. فالمادة اللغوية في هذا المنهج مأخوذة من الاستعمال اللغوي، وهذا الأخير تتحكم فيه عناصر خارجة عن إطار اللغة قد تفضي به إلى الخروج عن النظام اللغوي، وهو ما أسماه تشومسكي بالسليقة اللغوية، التي تختزن وتميز بين الحمل النحوية وفهمها<sup>2</sup>.

وإذا نظرنا إلى علمائنا العرب المحدثين وجدناهم يعرضون لأصول المناهج السابقة وغيرها في أمريكا وأوروبا، ثم يلتفتون إلى تراثنا فيجدون العرب قد سبقوا إلى هذه الأصول من هؤلاء:

1-الدكتور تمام حسان: فقد اشار إلى الاتجاه السياقي الوصفي Linear الذي يرى الجملة سلسلة من المواقع المتتابعة التي عني بها النحو القديم أكبر العناية بالسياق في ضوء العلاقة الإعرابية حتى جعلها سلسلة من المحلات الإعرابية<sup>3</sup>.

كما أشار إلى الاتجاه البنائي الذي يرى اللغة بنية منظمة متكاملة، وعرض لتحليل تركيب الضمائم السياقية من العلاقات التركيبية، ثم عرض أخيرا للأفكار الأساسية في النحو التحويلي ممثلا لها بأمثلة عربية.

2-الدكتور عبده الراجحي: الذي يرى أن فهم المناهج الحديثة ضروري لفهم المنهج العربي القديم، فقد عرض لأصول المنهج الوصفي، ورأى أن الاتجاه الوصفي يظهر في كثير مما قرره النحاة الأوائل من أحكام<sup>4</sup>، وعرض وعرض للاتجاه التحويلي فتحدث عن تشومسكي وأصول نظريته ثم عن الجوانب التحويلية، المتمثلة في: الحذف، الزيادة وإعادة الترتيب<sup>5</sup>.

3-الدكتور نهاد موسى: الذي ربط أيضا بين النحو العربي القديم والمناهج الحديثة؛ فقد عرض لأصلين من أصول البنيوية<sup>6</sup>: الأول: التحليل إلى المكونات المباشرة، والثاني: التوزيع: وذكر أن العرب استشعروا الأصل

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص39.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص46.

<sup>3</sup> تعليم النحو بين النظرية والتطبيق، تمام حسان، مقال بمجلة المنهل، المغرب، 1967م، ص112.

<sup>4</sup> النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص55.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص59.

<sup>6</sup> نظرية النحو العربي، ص9.

الأول من الإعراب وصدروا عنه، والثاني عرفوه حقيقة ومعنى<sup>1</sup>. وربط بين اعتراضات تشومسكي على البنيوية، واعتراضات ابن هشام على المعريين<sup>2</sup>. ويرى أن مفهوم النحو التحويلي عند التحويليين، وعند الخليل وابن جني متواردان في نسيجهما الأساسي<sup>3</sup>.

### الفرع الثالث: التمثيل لعملية التحليل اللغوي على تراكيب القرآن الكريم

في ضوء القوانين والمناهج اللغوية الحديثة، يمكن سوق شواهد كثيرة في القراءات تمثل الظواهر اللغوية المختلفة، غير أن المقام لا يتسع لعرض أمثلة كثيرة وتطبيقها على مستويات التحليل اللغوي السالفة الذكر، فإني أكتفي في هذا المقام بتطبيق واحد يناقش ظاهرة فينولوجية صوتية، وهي ظاهرة المماثلة الصوتية.

وتعني المماثلة الصوتية: تلك التعديلات التكوينية للصوت حين يجاور أصواتاً أخرى<sup>4</sup>.

وهذه الظاهرة يحكمها قانونان، هما:

1- قانون الأقوى: أي أن الصوتين المتجاورين في السياق يتبادلان فيما بينهما التأثير والتأثر، والأقوى هو الذي يغلب الأضعف.

2- قانون الجهد الأقل أو الاقتصاد في الجهد العضلي: ويعني توفير الجهد المبذول في النطق مع تيسيره وتسهيله<sup>5</sup>.

وتكون المماثلة الصوتية بين الصوامت وبين الحركات وبين الصوامت والحركات وبين أشباه الصوامت والحركات وغيرها. وأكتفي ههنا بشاهد عن المماثلة بين الصوامت والحركات.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص9، 29.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص33.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص46، 54، 58.

<sup>4</sup> دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، الكويت، ط1، 1967م، ص321.

<sup>5</sup> المرجع نفسه.

يقول الله تعالى:  $\text{و و و و و ي ي ي ي ي } \square \text{ هود: ٢٧}$

قراءة (ب) قرأ أبو عمرو ونصير عن الكسائي (بادئ) بهمزة مفتوحة، وقرأ الباقون بياء مفتوحة من غير همز<sup>1</sup>.

ويمكن تحليل القراءتين في هذا الإجراء الصوتي:

بادئ < بادئ < بادئ

د : ء : < د (x) : < د ::

ويمكن وضع هذه القراءة تحت القانون الصوتي: "إذا وقعت الهمزة بين حركتين مختلفتين ثم حذفت الهمزة فإن الحركتين تتماثلان في حركة واحدة، وينشأ صوت انتقال<sup>2</sup>".

فالهمزة في هذه القراءة وقعت بين الكسرة القصيرة والفتحة القصيرة، فلما حذفت الهمزة في القراءة الأخرى تماثلت الفتحة والكسرة في كسرة طويلة في صورة مماثلة تقدمية (Progressive)<sup>3</sup>.

د : ء : x : < x : < د ::

↓                      ↓  
حذفت الهمزة      مماثلة تقدمية

ونلاحظ هنا كيف قلبت الهمزة ياء لانكسار ما قبلها<sup>4</sup>.

ويمكن توضيح عملية التأثير والتأثر في المماثلة الصوتية بين الهمزة والكسرة في الجدول الآتي:

المؤثر	المتأثر	وجه المماثلة	صفة المماثلة
الحركة القصيرة (د)	الهمزة	قلبت الهمزة ياء لانكسار ما قبلها	تأثر تقدمي

<sup>1</sup> التذكرة في القراءات الثماني، 457/2.

<sup>2</sup> الهمزة دراسة صوتية تاريخية، صلاح الدين صالح، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 9، محرم 1414هـ، ص 294.

<sup>3</sup> التوجيه اللغوي للقراءات السبع، ص 60.

<sup>4</sup> الحجة، أبو علي الفارسي، 387/2.

#### الخاتمة:

لقد سلط هذا الموضوع بعض الضوء على فن جدير بالدراسة والاهتمام ألا وهو فن التوجيه والتحليل اللغوي للقراءات القرآنية، وبعد هذه الجولة السريعة في أطراف هذا الموضوع أخلص في النهاية إلى النتائج الآتية:

- 1- اهتمام المتقدمين وولعهم بالقرآن الكريم وعلومه وقراءاته حفظا ودراسة فاق التصور، وشرف العلم بشرف المعلوم؛ لذا عُني العلماء من أواخر القرن الثاني الهجري بالاحتجاج للقراءات وبيان وجوهها والدفاع عنها والردّ على من طعن فيها.
- 2- يعتبر علم التوجيه أو الاحتجاج أو التعليل يعتبر أداة مهمة، وعدة أساسية للمفسر والمتصدّر للإقراء، فالمفسّر يحتاج إليه في استنباط الأحكام، وترجيح بعض الوجوه على بعض ، والقارئ يحتاج إليه لمعرفة وجوه الوقف والابتداء الجائزة منها والممتنعة .
- 3- يمتاز علم التوجيه بألوان متعددة من الدراسات القرآنية واللغوية من نحو وصرف ووجوه الإعراب، وتفسير بعض غريب القرآن، وآراء كثير من أئمة النحو واللغة في كثير من القضايا، كما يرتقي أحيانا لأن يكون دليلا أو مرجحا.
- 4- اللغة ظاهرة شديدة التعقيد، ويجب أن تتعاقد الجهود والمناهج في تحليلها.



- 5- يعتبر التحليل اللغوي عند المحدثين خطوة تالية لجهود المتقدمين، ويتميز عن موضوع الاحتجاج بالشمولية والتنظيم والدقة، وهذا التميز لا يخس أشياء المتقدمين ولا يغض من جهودهم شيئاً طالما أن المعارف البشرية تراكمية، وعلى الباحث أن يربط بينها وأن لا يحدث بينها القطيعة.
- 6- اللغة بفروعها الصوتية، الصرفية، التركيبية، المعجمية والدلالية، دعامة قوية يجب أن يستند إليها المحلل، وهو يشرع في عملية التحليل.
- 7- ينبغي للباحثين أن يُعنوا كثيراً بالدراسات اللغوية الحديثة؛ العربية منها والغربية على حدّ سواء، فهي حديرة بتلك العناية، ويفيدوا منها في توجيه القراءات القرآنية، وهذا حقيق بأن يضيف الشيء الكثير للدراسات القرآنية عموماً وللقراءات القرآنية على وجه أخص.

### قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة، بيروت، د.ط، 1951م.
- إحصاء العلوم، الفارابي، ت: الدكتور عثمان أمين، ط2، القاهرة، 1949م.
- الأصول دراسة إيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1982م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس، ت: زهير غازي زاهد، علم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط3، 1988م.
- الأسلوبية -مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب، ط1، 1990م.

- الأسلوبية الحديثة، محمد عياد، مجلة فصول، ع2، 1984م، عدد (مناهج النقد الأدبي المعاصر).
- أسس علم اللغة، ماريو باي، عالم الكتب، 1419هـ- 1998م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1391هـ.
- أبو بكر بن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية، عبد الفتاح شلي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، العدد الخامس، 1401هـ.
- التذكرة في القراءات الثماني، أبو الحسن طاهر بن غلبون، ت: عبد الفتاح بحيري إبراهيم، ط2، 1411هـ- 1991م.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة -دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية- محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 1426هـ- 2005م.
- تعليم النحو بين النظرية والتطبيق، تمام حسان، مقال بمجلة المنهل، المغرب، 1967م.
- التوجيه اللغوي للقراءات السبع -دراسة تطبيقية على مستويات التحليل اللغوي، عمر خاطر عبد الغني وهدان، مكتبة الآداب -القاهرة، ط14، 1430هـ- 2009م
- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ت: بدر الدين قهوجي و بشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1407هـ- 1987م.
- جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو سعيد بن عثمان الداني، تحقيق: عبد الرحمن الطرهوني و يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، د.ط.ت.
- صحيح البخاري، البخاري محمد بن إسماعيل ، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير-اليمامة، بيروت، ط3: 1407هـ- 1987م.
- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن ابن دريد، حيدر آباد، الهند، 1345هـ.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد النجار، القاهرة، 1952م.

- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، الكويت، ط1، 1967م .
- الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو، د.ط، 2003م.
- روح المعاني، الألوسي، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1983م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، ت: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، د.ط، 1388هـ- 1968م.
- كتاب الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي، سيدي عبد القادر الطفيل، منشورات كلية الدعوة، ط1، د.ت.
- الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، حلمي خليل، الهيئة المصرية للكتاب، 1980م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكّي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م.
- اللغة العربية -خصائصها وسماتها-، عبد الغفار حامد هلال، ط الحضارة العربية، 1396هـ- 1967م.
- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1: د.ت.
- اللغة العربية -خصائصها وسماتها-، عبد الغفار حامد هلال، ط الحضارة العربية، 1396هـ- 1967م.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنّي، تحقيق: علي النجدي وزملائه، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1415هـ- 1994م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي المعروف بالجوهرية، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط2: 1415هـ- 1995م.
- مختصر شواذ القرآن، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، عناية: برجستراشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
- مدخل إلى الألسنية، بول فاير و كريستيان بايلون، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992م.

- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير، عُني به: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر العاصمة، ط1: 1424هـ- 2003م.
- منهج الإمام ابن عطية الأندلسي في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره، فيصل بن جميل بن حسن غزاوي، إشراف: د. محمد ولد سيدي ولد حبيب، جامعة أم القرى، السعودية، 1422هـ.
- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ومعه حاشية الشيخ محمد بن علي الصبان، علي بن محمد الأشموني، د.ط.ت، دار إحياء الكتب العربية.
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، د.ط.ت.
- معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: محمد علي النجار وزميله، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1983م.
- معايير لتحليل الأسلوب، مايكل ريفايتر، مقال من كتاب: اتجاهات البحث الأسلوبي، شكري عياد.
- المقدمة، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ط بولاق، 1284هـ، ط لجنة البيان العربي 1382هـ- 1962م.
- المدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود نحلة، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
- العربية وعلم اللغة البنيوي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، 1988م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، الكويت، ط1، 1982م.
- علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلأوي -شبرا، ط2، 1406هـ- 1986م.
- علم اللغة والنقد الأدبي (علم الأسلوب)، عبده الراجحي، مجلة فصول، ع2 1981م، عدد (مناهج النقد الأدبي المعاصر).
- أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية، عبد الفتاح إسماعيل، وآثاره في القراءات والنحو، جدة، دار المطبوعات الحديثة، ط3، 1989م.

- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري أبو الخير، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط3: 1402هـ- 1982م.
- فتح القدير بين الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق: سيّد بن إبراهيم بن صادق، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1413هـ-1993م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط.ت.
- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بازمول، دار الهجرة، الرياض، ط1: 1417هـ- 1996م.
- السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس، أبو بكر بن مجاهد التميمي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - كورنيش النيل بالقاهرة- ط2: 1400هـ.
- شرح الهداية، المهدي، أحمد بن عمار، أبو العباس، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، سنة: 1416هـ/1995م.
- شرح السيراني على كتاب سيبويه، السيراني، طبع بولاق، 1316هـ.
- الهمزة دراسة صوتية تاريخية، صلاح الدين صالح، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد9